فكر ابن الأكفانى التربوى مع تحقيق مخطوطته
" ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد "

دكتور
مصطفى محمد رجب
مدرس أصول التربية

مقدمة :

محمد بن ابراهيم بن ساعد المعروف بابن الاكفانى أحد علماء القرن الثامن الهجرى ، أشادت به الكتب القليلة التى أرخت له ، ومع ذلك فأنه يعد من المغمورين اذا ما قورن بغيره من مؤلفى عصره ٠ ترجم له ابن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنة فى أعيان المائه الثامنه (٢٧٩/٣) ، ووردت ترجمته أيضا فى البدر الطالع (٧٩/٢) ، وبروكلمان (١٧١/٢) وكشف الظنون لحاجى خليفه (ص ٦٦) والاعلام للزركلى (٢٩٩/٥) ٠

يبدو من الترجمات القليلة التى تناولت شخصيته أنه كان طبيبا مشهورا فى عصره كما كان عالما بالرياضيات والفلسفة وكان شاعرا أيضا ٠

ويقع كتابه المخطوط " ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد " فى اثنتين وستين ورقه ، وتوجد منه عدة نسخ بدار الكتب المصريه ، كما طبع بعناية المرحوم محمود أبو النصر بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر سنة ١٩٠٠ م فى ١٠٣ ورقة ٠ غير أن هذه الطبعة لم تكن محققة ٠

يعد هذا المخطوط من المخطوطات النادرة فى المكتبة العربية من حيث طبيعته فهو ذو طبيعة موسوعيه حيث ذكر فيه ابن الاكفانى أنواع العلوم وأصنافها وأشهر المؤلفات فى تلك العلوم التى بلغت عدتها نحو ستين علما أشار خلال الحديث عنها الى ما يقرب من أربعمائه مصنف ٠

ولا تقف أهمية هذا المخطوط عند حد ذكر التصانيف المشهورة فى العلوم التى تعرض لها المصنف ٠ بل أنه أضاف الى ذلك ذكره لاسماء اكثر

الفرق الاسلامية والمسيحية واليهودية ومبادىء كل فرقه ٠

القيمة التربيوية للمخطوط :

يبدأ هذا المخطوط بآراء خاصه لمصنفه فى أهمية العلم وشرف العلماء ، وأهداف التعليم ، ثم يتحدث عن شروط التعليم والتعلم وبقسم العلوم من وجهة نظره الى علوم حكمية ونظريه وعملية ثم يتطرق الى فروع كل نوع ٠ كما يقدم وجهة نظر خاصة فى قوانين الكتابه وقوانين القراءة ٠

فاذا أضفنا الى ذلك أن لابن الاكفانى مخطوطا آخر اسمه " الدر النظيم فى أحوال العلوم والتعليم " ظهر لنا الى أى حد يعد نتاج هذا الرجل وتعد مؤلفاته من تراثنا التربوى المفقود الجدير بالعناية به ، والبحث فيه ٠

ولعل القرن الثامن ـ عصر سلاطين المماليك البحرية من العصور المجهوله نسبيا فى تاريخ التربية والتعليم فى مصر ٠ الامر الذى يضيف الى هذا البحث جانبا آخر من الاهمية ٠

منهج البحث :

يستخدم الباحث المنهج التاريخى لانه أنسب المناهج لتناول الفكر التربوى لابن الاكفانى ٠ ذلك أن الوثائق التايخية من المصادر الاولية التى يعتمد عليها منهج البحث التاريخى وهى تشمل " الكتب والكتابات التى تركها الاشخاص المراد دراسة تاريخهم أو دراسة أفكارهم أو اسلوبهم " ٠(١)

---

(١) عمر الشيبانى ، مناهج البحث الاجتماعى ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧١) ، ص ٩٧ ٠

خطة البحث :

- مقدمـة •
- وصف المخطوط •
- الاوضاع الثقافية فى عصر ابن الاكفانى •
- شخصيته ومصادر دراسته •
- العوامل المؤثرة فى فكره التربوى •
- أهم جوانب فكر ابن الاكفانى التربوى •
- تعقيب عام •

نسخ المخطوط :

كتاب " ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد " لابن الاكفانى من الكتب التى يصعب تصنيفها تحت فن معين من الفنون • وتوجد من المخطوط عدة نسخ بدار الكتب بيانها كالاتى :

١ ـ أقدم نسخة ٦٢ ورقة كتبت عام ٨٩٧ هـ • مصنفة تحت فن المكتبات برقم ٢٦٦ •

٢ ـ نسخة أخرى ٤٩ ورقة ـ برقم ٢٦٧ مكتبات •

٣ ـ نسخة أخرى ٦٨ ورقة كتبت عام ١٢٩٦ هـ مصنفة تحت رقم ٢٦٨ مكتبات •

٤ ـ نسخة أخرى ٦٤ ورقة كتبت عام ١١٠٧ هـ مصنفة تحت رقم ٨٠ معالم تيمور •

٥ ـ نسخة أخرى كتبت عام ١١٥٤ هـ مصنفة عقائد تيمور •

٦ ـ نسخة أخرى ١٣ ورقة كتبت عام ١١٧٩ هـ مصنفة تحت رقم ٣٦٩ مباحث اسلامية طلعت •

٧ ـ نسخة أخرى ١٠٩ ورقة مصنفة تحت رقم ٢٥٨ معارف عامة طلعت •

ويبدو أن تعدد الموضوعات التى تناولها ابن الاكفانى فى مؤلفة قد انعكس على فهرسة هذا المؤلف فأضيف مرة الى فن المكتبات لانه اهتم بذكر مصنفات سابقية • ومرة ضمن المباحث الاسلامية لاهتمامه بالفرق الكلامية ومرة ضمن المعارف العامة لصعوبة تحديد موضوعه •

وبالاضافة الى هذه النسخ المخطوطة توجد نسخة مطبوعة بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية ـ القاهرة سنة ١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠ م • بدون تحقيق •

وصف المخطوط :

النسخة التى اعتمدنا عليها فى التحقيق هى أقدم نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة • وقد رمزنا لها بالرمز (خ) وفيما يلى وصف لها :

** تقع هذه المخطوطة فى اثنتين وستين ورقة ، ومصورة على ميكرو فيلم رقم (٤٥٨٧٦) ، وقد أثبت ناسخها فى آخر صفحة بها أنه انتهى من نسخها فى ٢ رمضان سنة ٨٩٧ هـ بمكة المكرمه نقلا عن نسخة بخط المصنف (المؤلف نفسه) كتبها ابن الاكفانى فى ذى القعده سنة ٧٣٤ هـ أى قبل وفاته بنحو خمس عشرة سنه •

واسم ناسخ المخطوطة التى بين أيدينا أحمد بن حسين العباسى وعليها خاتمان الاول مكتوب فيه (الكتبخانه السلطانية) وتعنى دار الكتب بالقاهرة ، والثانى مكتوب فيه (وقف هذا الكتاب السيد/ أحمد الحسينى بن السيد / أحمد بن السيد / يوسف الحسينى عام ١٣٢٣ هـ) • ويبدو أن السيد أحمد الحسينى هذا كان صاحب مكتبة خاصة تبرع بها لدار الكتب حيث أن تاريخ هذا الخاتم يشير الى ملكيته للمخطوط بعد نحو خمس سنوات من قيام السيد/ محمود ابو النصر بطبع النسخة المطبوعة فى مطبعة الموسوعات •

والنسخة المطبوعة مأخوذه ـ كما يقول طابعها ـ عن نسخة محفوظة بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ولم يشر الطابع الى أصل تلك النسخة الموجوده فى فرنسا • غير أن الاختلافات التى لاحظناها أثناء التحقيق تثبت لنا أنها ليست هى النسخة التى بين أيدينا ، وقد رمزنا للنسخة المطبوعة برمز (ط) •

** تقع النسخة المحفوظة (خ) فى اثنتين وستين ورقة كل ورقة تتكون

من صفحتين وخط الناسخ واضح ، ومقاس الصفحة الواحدة ١٣ × ١٩ سم ٠ وكل سطر يتكون من عدد من الكلمات يتراوح ما بين ٨ ـ ١٢ كلمة تقريبا ٠

منهج التحقيق :

١ ـ الموازنة بين النسختين المطبوعة والمخطوطة ٠ وعند الاختلاف يؤخذ بأقرب النسختين الى الصواب مع الاشارة فى الهامش الى الاختلاف ومحاولة تفسيره ٠
٢ ـ الاخذ عند المخطوط غالبا مالم يكن الخطأ الناجم عن الاختلاف لغويا ٠
٣ ـ توثيق الايات والاحاديث الشريفة من مصادرها ٠
٤ ـ الترجمة للشخصيات التى يرد ذكرها فى المتن ٠
٥ ـ الاشارة الى الكتب التى يرد ذكرها فى المتن ٠
٦ ـ شرح العبارات الغامضة المعنى ٠

العوامل المؤثرة فى فكر ابن الاكفانى التربوى :

١ ـ الطبيعة العلمية للعصر :

اتسم العصر الذى غاش فيه ابن الاكفانى بأنه عصر ازدهار علمى ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال :

أ ـ رصد أسماء علماء ذلك العصر وهم من أبرز مشاهير التراث العربى فى شتى المجالات كابن النفيس (مكتشف الدورة الدمويه) والقلقشندى الاديب ، والفقهاء ابن تيميه وابن القيم والمحدث والحالظ ابن حجر العسقلانى .. والمؤرخ ابن خلكان وغيرهم كثيرون ..

ب ـ المؤلفات الضخمة التى تركها أولئك العلماء البارزين فى شتى التخصصات ٠

جـ ـ انتشار المدارس فى معظم أنحاء مصر بتشجيع مباشر من السلاطين ووجود نظم مالية لتمويل التعليم ٠ وقد سجل المقريزى فى خططه والادفوى فى الطالع السعيد كثيرا من أوضاع التعليم فى ذلك العصر وأسماء

[illegible]

[illegible] الواقع لظروف عصره .

٢ ـ ثقافته الطبية :

على الرغم من قلة المصادر التي [illegible] شخصية ابن الاكفاني [illegible] فإن الشذرات المتناثرة [illegible] ثقافة الرجل [illegible] متنوعة فقد روى عنه ابن حجر العسقلاني ([illegible]) وهو أحد مؤرخيه [illegible] زمنيا ، أنه كان متفوقا في معرفة [illegible] الرياضيات وأنه [illegible] في علم الطب [illegible] دراسة وممارسة [illegible] كما [illegible] ضيف في اشارته اليه ، ونحن نؤيد هذا الذي ذهب اليه شوقي ضيف مستندا الى :

١ ـ أن لابن الاكفاني مخطوطتين في طب العيون هما :

- نهاية القصد في صناعة القصد .
- كشف الرين في أحوال العين .

٢ ـ أن له بيتين من الشعر رواهما ابن حجر ونقلهما عنه الشوكاني وهو يهجو فيهما كحالا يعالج العيون بالمعادن فيصفه بأنه يتسبب في عمى من يعالجه ويثم هذان البيتان عن معرفة بالطرق الصحيحة لعلاج العيون ، كما ينمان عن روح فكاهية كان يتمتع بها . يقول فيهما :

ولقد عجبت لعاكس للكيميا ... فى كحله قد جاء بالشنعاء
يلقى على العين النحاس يحيلها ... فى لمحة كالفضة البيضاء

وتبلغ المؤلفات التى ذكرها الزركلى لابن الاكفانى تسعة مؤلفات هى :

١ ـ ارشاد المقاصد الى أسنى المقاصد ٠
٢ ـ الدار النظيم فى أحوال العلوم والتعليم ٠
٣ ـ نخب الذخائر فى أحوال الجواهر ٠
٤ ـ كشف الرين فى أحوال العين ٠
٥ ـ غنية اللبيب فى غيبة الطبيب ٠
٦ ـ نهاية القصد فى صناعة الفصد ٠
٧ ـ النظر والتحقيق فى تقليب الرقيق ٠
٨ ـ روضة الالباء فى أخبار الاطباء ٠
٩ ـ اللباب فى الحساب ٠

ومن هذه القائمة نستنتج أن له اهتمامات تربوية حيث أن ثلاثة كتب من هذه التسعة ذات طبيعة تربوية وهي الكتاب الحالي : " ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد " والاخران هما " الدر النظيم فى أحوال التعلم والتعليم " و " اللباب فى الحساب " ٠ وما زال الأخيران مخطوطين أيضا ٠

ويبدو أن تخصصه فى الطب واهتمامه بالرياضيات وبالفلسفة اليونانية القديمة كما روى عنه ، يبدو أن لذلك أثره فى فكره التربوى حيث يتضح لنا ذلك من تقسيمة للعلوم ، وحديثه عن أهمية استخدام المنطق فى مناهج البحث ٠ ومن ذلك كله نستنتج أن ثقافته الخاصة كانت من العوامل الهامة المؤثرة فى فكره التربوى ٠

٣ ـ سماته الشخصية :

روى ابن خجر عن ابن الاكفانى انه كان فوق تخصصه وبراعته فى

الطب ، مستحضرا للتاريخ وحافظا للاشعار ، وشاعرا ، كما نقل عنه أنه كان محاضرا بارعا يجذب اهتمام مستمعيه ، ويعبر عما يريد بايجاز بليغ ، ومرح وفكاهة ، كما يروى عنه انه كان انيق المظهر ، حسن الملبس ، ونستطيع بسهوله أن نلمس أثر هذه الصفات فى فكره التربوى ، فهو يركز على أهمية أن يكون للمتعلم قدوة من معلميه ويجب عليه أن يعتز بأستاذه ويقدره ويحفظ له مكانته ، ويتحدث عن ضرورة تواضع طالب العلم وأهمية ذلك التواضع في التحصيل ، كما ان ظروفه الخاصة بتوليه العمل فى المراستان كطبيب له مكانته البارزه ظهر أثرها بوضوح فى فكره التربوى حين يذكر أن من عوائق التعلم عدم استغلال الوقت استغلالا حسنا ، وتولى المناصب الذى يشغل صاحبه عند طلب العلم .

٤ ـ فكره السياسى والاجتماعى :

من الصعب جدا أن نحدد أبعاد الفكر السياسى والاجتماعى لابن الاكفانى بالنظر الى ندرة ما كتب عنه ولكن من الممكن أن نتوقع أنه كان شيعيا أو محبا للشيعة على الاقل ، وذلك :

١ ـ أنه فى مواطن كثيره يستشهد بكلام للامام على بن أبى طالب .

٢ ـ انه يتبع ذكر الامام على بقوله " عليه السلام " ويتكرر ذلك عند ذكره لمحمد بن على ابن الحسين ، وعند ذكره لجعفر الصادق . وهذا الاسلوب (التسليم على آل البيت) من خصائص بعض فرق الشيعة .

٣ ـ أنه عند تعرضه للفرق الاسلامية ينتقد بعض الفرق الغالية ويوجز عند الحديث عن بعضها الاخر ، ولكنه يتوسع كثيرا فى عرض أفكار الشيعة وفرقهم المختلفة .

هذا من جهة فكره السياسى ، وأما من جهة فكره الاجتماعى فيمكننا أن نتوقع أن هجرته من سنجار الى مصر قد تكون طلبا للرزق أو للمكانة الاجتماعية ، فاذا عرفنا من دراسة عصر المماليك ان طلاب العلم كانوا من أدنى الطبقات الاجتماعية ، وكان السعى الى طلب العلم مبعثه أحيانا الرغبة في الحصول على الارزاق من خلال الرواتب التى كان يخصصها السلاطين

والموسرون للانفاق على طلاب العلم الفقراء ، اذا عرفنا هذا كله ، جاز لنا أن نتوقع أن ابن الاكفانى رجل عصامى اعتمد على نفسه فى تحقيق مكانه رفيعة بما أتاه الله من علم ، وما ظهر عنده من نبوغ تمثل فى عمله طبيبًا ، وفى مؤلفاته العديده ، ويمكن أن نرى ذلك فى فكره التربوى حين نجده يذكر من عوائق التعليم الانشغال بجمع المال والجاه عن العلم ، كما يذكر أيضا ضيق ذات اليد كعامل مؤثر فى الانقطاع عن الدراسة ، كما نجده يتحدث فى شروط التعلم عن ضرورة استثمار العلم والافادة منه ٠

تعقيب :

مما سبق يمكن أن نقول أن العوامل التى أثرت فى فكر ابن الاكفانى التربوى هى :

١ ــ طبيعة عصره العلمية ٠
٢ ــ ثقافته الخاصة (الرياضيات والعلوم والطب) ٠
٣ ــ سمات شخصيته ٠
٤ ــ فكره السياسى والاجتماعى ٠

وان كان ذلك كله قابلا للمناقشة ، فانه مجرد استنتاج من أسطر قليلة ، وردت عنه ويقدر ما أسعفتنا به المراجع اذ أن نتاج هذا الرجل مازال مخطوطا ٠

أهم جوانب الفكر التربوى عند ابن الاكفانى :

ــ مفهوم التعليم :

يظهر من كلام ابن الاكفانى عن التعليم أنه يجمع عناصر العملية التعليمية جميعا ،فهو يقول " كل تعليم وتعلم ذهنى فأنما يكون بعلم سابق فى معلوم ما ، من عالم لمن ليس بعالم ، لما ليس بمعلوم " ٠

فقوله " علم سابق " يشير الى المنهج أو المحتوى المراد تعليمه ٠

وقوله " من عالم " يريد به المعلم ٠

وقوله " لمن ليس بعالم " يريد به المتعلم ٠

وقوله " لما ليس بمعلوم " يشير الى حالة المتعلم قبل تلقية العلم ، أى أن ما يعرفه المتعلم من المعلم ، لم يكن معروفا له قبل تعلمه أياه ٠

ثم ينتقل خطوة تقدمية فيشير الى التعلم الذاتى الذى يمكن للفرد تحصيله بقدح ذهنه ، وتأمل ما حوله من ظواهر فيقول :

(وقد يكون " أى التعلم " بالطبع " أى يمكن أن يحصله الانسان بطبيعته " وتفيده وقائع الزمان ، بتردد الاذهان فى موجودات الاعيان وأحوالها (= الظواهر الطبيعية) ٠

أقسام العلم :

ويقسم ابن الاكفانى العلم الناتج عن التعلم الى قسمين :

الأول : ويسميه العلم التجريبى :

وهو الناتج عن الملاحظة الحسية المباشرة للظواهر الطبيعية ٠

الثانى : ويسميه العلم القياسى :

وهو الناتج عن ارادة الانسان أن يتعلم ، ووسيلته عنده البحث وأعمال الفكر ٠

والتقسيم السابق للعلوم الى تجريبية وقياسية ، يبدو أنه تقسيم من حيث منهج البحث المستخدم فى الوصول الى المعرفة العلمية ٠ ذلك لاننا نجد فى مواضع أخرى من المخطوطة أن ابن الاكفانى يقسم العلوم تقسيما آخر ، فاذا كان الامام الغزالى (١) قد قسم العلوم ونكر ضمن بعض الاقسام علوما غير مرغوب فى تعلمها لانها لا تفيد الانسان في دنياه ولا فى

---

(١) أنظر : مصطفى درويش ، فى تاريخ التربية ، ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٥ ، ص ١٥٠ ٠

أخراه ، فأننا نجد ابن الاكفانى يختلف معه فى هذه الناحية ، فهو يرى أن كل العلوم نافعة ٠

يقول ابن الاكفانى " واعلم انه لا شىء ولا واحد من العلوم من حيث أنه علم يضار ، بل نافع ... وانما توهم فى بعض العلوم انه ضار أو غير نافع لعدم اعتبار الشروط التى تجب مراعاتها فى العلم والعلماء " ٠

تفاضل العلوم :

يرى ابن الاكفانى أن العلوم جميعا تشترك فى صنفين : النفع والشرف ، فالعلوم شملها نافعة ، والعلوم كلها شريفة ، ولكن العلوم قد تتفاضل من جهة الغرض من تحصيلها فعلم الاخلاق من هذه الناحية من أفضل العلوم " فأن غايته معرفة الفضائل الانسانية ونعمت الفضيلة "، كما قد تتفاضل العلوم من جهة موضوعها فعلم الطب من هذه الناحية من أفضل العلوم لأن موضوعه بدن الانسان ٠ كما قد تتفاضل العلوم من جهة منهج البحث فيها فتبرز هنا أفضلية العلوم الرياضية فأنها برهانية يقينية على حد تعبيره ٠

وهناك مغالطات يلتفت اليها ابن الاكفانى ويذكر بعضها فى مجال تقسيم العلوم منها :

١ ـ أن يظن بالعلم فوق غايته ، فيتوقع أن علم الطب يبرىء جميع الامراض ٠

٢ ـ أن يظن بالعلم فوق مرتبته فى الشرق ، فيظن بالفقه أنه أشرف العلوم مع أنه علم التوحيد أشرف منه ، فعلم الفقه يتناول الاحكام الشرعية التى تنظم العبادات والمعاملات ، أما علم التوحيد فيتناول ما يجب معرفته فى حق الله والملائكة والرسل ٠

٣ ـ أن يوضع للعلم هدف غير جوهرى ، كطلب العلم للحصول على المال أو الجاه ٠ فالهدف الاسمى للتعلم عند ابن الاكفانى هو معرفة الحقائق وتهذيب الاخلاق ٠

٤ ـ أن يمتهن العلم باتاحته لمن ليسوا أهلا له • فتعلم الطب كان فى الزمن القديم حكمة موروثة عن النبوة كما يعتقد ابن الاكفانى ، فلما تعاطاه سفله اليهود لم يتشرفوا به ، بل رذل بهم وهزلت قيمته •

تقسيم العلوم من حيث غايتها :

قلنا أن ابن الاكفانى قسم العلوم من حيث مناهجها البحثية الى علوم تجريبية وعلوم قياسية ، وهناك تقسيم آخر أورده يستند الى الهدف من تحصيل العلم ، ويمكن اجمال هذا التقسيم على النحو التالى :

أولا : علوم مقصوده لذاتها :

ويسميها العلوم الحكمية (نسبه الى الحكمة) ويرى ان هدف هذه العلوم هو استكمال النفس الانسانية لفضائلها ولهذه العلوم جانبان جانب نظرى وجانب عملى ، أما الجانب النظرى فيرى أنه يتحقق بحصول الاعتقادات التعينية فى معرفة الموجودات وأحوالها ، ويمكن أن نعبر عن ذلك بأنه يقصد بهذا الجانب العلوم التى يمكن أن يتم تحصيلها بالادراك الحسى المباشر ، أو الادراك العقلى ـ أو الوجدانى ـ الذى يقترب من الادراك الحسى مصداقيته • ويندرج تحت هذا الجانب النظرى ثلاثة مستويات :

أ ـ مستوى أعلى :

وهو العلم الالهى كالتوحيد مثلا •

ب ـ مستوى أوسط :

وهو العلم الرياضى (وهو عنده أربعة علوم : الهندسة ، والهيئة ، والعدد ، والموسيقى) •

جـ ـ مستوى أدنى :

وهو العلوم الطبيعية •

ويستند هذا التقسيم الى أن المستوى الاعلى وهو العلم الالهى علم

مجرد عن الطبيعة المادية على مستوى العقل أو الحس فنحن لا نستطيع أن نضع تصورا عقليا للاله ، كما أننا عاجزون بالحوس عن ادراكه حسيا ، والمستوى الاوسط وهو العلم الرياضي يصح تجرده عن الماديات في الذهن كالموسيقى والاعداد • أما المستوى الادنى وهو العلوم الطبيعية فأنها العلوم التي لها وجود مادى فى الخارج وبالتالى فان لها وجودا ماديا فى الذهن •

وأما الجانب العملى من العلوم الحكمية فتندرج تحته ثلاثة علوم :

١ ـ علم الاخلاق : ويهتم بالامور الخاصة بالشخص وحده •
٢ ـ علم تدبير المنزل : ويهتم بالامور الخاصة بالانسان وذويه •
٣ ـ علم السياسة : ويهتم بالامور التى تنظم علاقة الانسان بمجتمعه •

ثانيا : علوم غير مقصوده لذاتها :

ويقصد ابن الاكفانى بهذا النوع من العلوم ما يمكن أن نسميه بالعلوم المساعدة وبتعبيره هو " العلم الذى لا يقصد بذاته بل يكون آله لغيره " ، وهو يقسم هذه العلوم الى قسمين : قسم يرى أنه خاص بالمعانى كالمنطق ، وظاهرة كلامه أنه يقصد بالمعانى الامور المجردة والاحكام العقلية ، والقسم الثانى يرى أنه وسيلة للتوصل الى المعانى وهو يشمل عنده : اللفظ والخط أو بتعبير آخر : علم الادب الذى يهتم الانسان فى دراسته بتحصيل أكثر ثروة لغوية من المفردات ، وتربية تذوقه الفنى وهاتان وسيلتان لتحقيق غاية واحدة هى البيان أو حسن التعبير عن الرأى سواء أكان ذلك باللفظ ، أى الخطابة المرتجله الشفوية ، أم كان بالكتابة التحريرية كالكتاب والادباء • وفى كلتا الحالتين ، فأن الادب لا يكون مقصودا لذاته بل يظل وسيلة لتحقيق غاية هى التعبير عن المعانى المجردة فى الذهن •

أهداف التعليم عند ابن الاكفانى :

يمكن استنتاج أهداف التعليم عند ابن الاكفانى من خلال آرائه

المنبثة فى هذه المخطوطة ، ويمكن اجمالها فى :

١ ـ العلم لذات العلم :

ويعد هذا الهدف من الاهداف العامة للتربية الاسلامية ، فالعلم فى نظر الاسلام غاية نبيلة يجب على الانسان أن يسعى الى تحقيقها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وقد استعرض ابن الاكفانى نصوصا كثيرة من الثقافة الاسلامية تحض على طلب العلم وترفع من قدر العلم والعلماء والمتعلمين ٠

٢ ـ الهدف المعرفى :

يبدو من حديث ابن الاكفانى عن تفاوت العلوم فى الشرف ، انه يجعل المعرفة هدفا من أهداف التعليم ، فهو يتحدث عن " الحكمة " وأنها ضالة المؤمن ، ويستشهد بقوله تعالى : يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا " ٠ ويقترب من مفهومه للمعرفة من المفهوم الافلاطونى ، فهو يرى أن من أهداف التعليم " تهذيب الاخلاق " أو بتعيير آخر : الفضيلة ٠

٣ ـ الهدف الاخلاقى للتعليم :

يركز ابن الاكفانى فى أكثر من موضع على أهمية العلم والتعليم فى بناء الخلق القويم ، فيقول مثلا :

" فأنه لا شىء أشنع ولا أقبح بالانسان مع ما فضله الله به من المنطق وقبول تعلم الاداب والعلوم والصنائع من أن يهمل نفسه ويعريها من الفضائل " ٠

ويستشهد على ذلك بمثال يضربه وهو أن الخيل المدربة على الحروب ، والجوارح من الطير (كالصقور) المدربة على الصيد ، ترتفع أقدارها وترتفع أثمانها لامتيازها بالفضائل التى اكتسبتها بالتعليم ٠

وهو ينقل عن افلاطون مباشرة آراءه المشهورة فى النفس الانسانية ،

ويركز على أن النفس الناطقة فضيلتها العلم ٠

كما يدعو فى مناسبات كثيرة الى أهمية أن يكون المتعلم على درجة من الخلق الحسن ، ويرى أن من الخير قبض العلم عن غير أهله ٠

٤ ـ الهدف الوظيفى للتعليم :

يشير ابن الاكفانى اشارة عابرة الى أن العلم قد يكون لجلب المنفعة فى الدنيا أو فى الاخرة ويتسق هذا مع مفهومه للعلم ، وقد أشرنا سابقا الى أنه يعتبر كل العلوم نافعة ـ ولكنه لا يهتم بهذا الهدف ، بل على العكس يحط منه اذا قيس بالاهداف الاخرى فيقول :

" على أنه من تعلم علما للاحتراف لم يأت عالما ، وانما جاء شبيها بالعلماء ، ولقد كوشت علماء ما وراء النهر بهذا الامر ، ونطقوا به، ولما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا للعلم وأتما ... " ٠

ولعل ابن الاكفانى يبالغ فى هذا التعبير ، أو لعله يريد أن يرفع من قدر جنسيته الفارسية ، فالواقع أن علماء ما وراء النهر (والمقصود بهم علماء الفرس وكان الاسلام يعم ، جميع بلاد فارس فى ذلك الوقت) ٠ كانوا يتعلمون ويعلمون فى بغداد التى كانت منذ تأسيسها حاضرة العالم الاسلامى ، ولعبت الجامعة المستنصرية دورا بارزا فى تخريج العلماء المتخصصين ٠ كما كان النابغون من الفرس كسيبويه وأبى حنيفه وغيرهما منذ عهد مبكر من الحضارة الاسلامية يعيشون فى العراق ويمارسون أدوارهم التعليمية فى المساجد والحلقات ٠

وفى هذا المضمار ، نجد أن الاكفانى يحذر من أخذ أجرة على التعليم ، ويرى أن ذلك سبب قوى لان يشتغل بالتعليم الاخاء وأرباب الكسل على حد تعبيره مما يؤدى الى ارتفاعه ، وهو يقصد بارتفاع العلم الاشارة الى الاثر المشهور من أن الله لا يقبض العلم بقصد العلم نفسه ، وانما يموت العلماء ٠

شروط التعليم والتعلم عند ابن الاكفاني :

يحدد ابن الاكفاني اثني عشر شرطا يسميها " شروط التعليم والتعلم " وهى :

١ ـ وضوح الهدف من التعلم :

بمعنى أن يحدد المتعلم فى بداية تعلمه هدفه من التعلم ، وهل العلم الذى يريد تعلمه سيتعلمه لذاته ؟ أم سيتعلمه ليكون وسيلة الى غاية أخرى ؟ وهو يربط هذه الخطوة أو هذا الشرط بمفهوم " النية " فى الفقه الاسلامى ، فاذا كانت الاعمال بالنيات ، فلابد من أن تكون نية المرء عند طلب العلم أن ينتفع به سواء فى دينه أو دنياه ، ثم يشير الى أن الهدف اذا كان دنيويا صرفا فنادرا ما يتحقق .

٢ ـ انتقاء العلم الذى يناسب قدرات المتعلم :

أو بتعبير آخر ، اختيار مادة التخصص ، اختيارا يتلاءم مع قدرات المتعلم أو بتعبير ابن الاكفانى " أن يقصد العلم الذى تقبله نفسه ، وتميل اليه طباعه ولا يتكلف غيره فليس كل الناس يصلحون لتعلم العلم ، ولا كل من يصلح لتعلم العلم يصلح لسائر العلوم " .

٣ ـ تحديد قيمة العلم المراد تعلمه :

والمقصود بقيمة العلم كما يظهر من كلامه هو مرتبة العلم الذى يزمع التخصص فيه ، وهدف ذلك العلم ، وهو يقصد ترتيب العلوم وفقا لما يعتقده المتعلم فى هذا المجال .

٤ ـ التعمق وبذل الجهد :

ويقصد بهذا الشرط أن يتدرج المتعلم فى العلم الذى يدرسه من أوله الى آخره ، بحيث لا ينتقل من علم الى علم أو من كتاب الى كتاب الا بعد استيعاب الاول استيعابا كاملا .

٥ ـ اختيار الكتاب الجيد :

وهناك اعتباران فى اختيار الكتاب الجيد يذكرهما ابن الاكفانى وسط تفاصيل كثيره وأمثله متعدده :

الأول : موضوع الكتاب المراد تعلمه ، وتحديد ما اذا كان كتابا علميا ، أو كتابا أدبيا ، ثم تحديد ما اذا كان كتابا ابداعيا كدواوين الشعراء ، أو تجميعا ككتب التواريخ ·

الثانى : مؤلف الكتاب المراد تعلمه ، ويقسم ابن الاكفانى المؤلفين الى فريقين :

الفريق الأول : من لهم فى العلم ملكة تامه ، ودرجه كافيه ، وتجارب وثيقة ، وحدس صائب ، واستحضار قريب ، فتصانيف هؤلاء على حد قوله تأتى عن قوة تبصره ونفاذ فكر وسداد رأى ، تجمع الى تحرير المعانى وتهذيب الالفاظ ·

والفريق الثانى : من لهم ذهن ثاقب وعبارة طلقة ووقعت اليهم كتب جيده جمة الفوائد ولكنها غير رائقة فى التأليف والنظم ، فهذبوها واستخرجوا ما فيها من فائدة ونظموها ·

وكأنه يقصد بالفريق الاول ما يمكن أن نطلق عليهم " المؤلفين " وبالفريق الثانى ما يمكن أن نطلق عليهم " الشراح " أو كتاب الحواشي أو المعلقين · وهو يرى أن كتب الفريق الاول لا يستغنى عنها أحد من العلماء ، على حين تناسب كتب الفريق الثانى طلاب العلم المبتدئين والمتوسطين ·

٦ ـ ضرورة الاستعانه بمعلم :

يرى ابن الاكفانى أن من شروط التعليم أن يكون للمتعلم معلم يرشده ويرجع اليه المتعلم فى كل معضله تقابله ، ذلك لان اعتماد المتعلم على نفسه مدعاة للخطأ وسوء الفهم · وكما يقول ابن الاكفانى فأن العلم فى الصدور لا فى السطور ، وهذا الشيخ الرئيسى ابن سينا مع جلاله قدره ومكانة

من الذكاء والحذق لما اتكل على نفسه وثوقا بذهنه وسلم من سوء الفهم لم يسلم من التصحيف (المقصود بالتصحيف وقوع خطأ كتابى فى الكلمه يتسبب عنه تغير فى معناها ، ويقصد أن ابن سينا لم يسلم من اساءة تفسير بعض قراءاته والتى ثبت فيما بعد أنها كانت تحتوى على أخطاء كتابيه (= طباعية بلغة العصر) يترتب عليها تغيير فى المعتى ٠

ويحدد ابن الاكفانى بعض المعايير التى ينبغى أن تتوفر عند اختيار المعلم وهى :

أ - أن يوضح للمتعلم مرتبه العلم الذى سيقوم بتعليمه اياه ٠
ب - أن يؤدب المتعلم بالاداب اللازمة ٠
جـ - أن يتدرج مع المتعلم فى تعليمه بحسب حاجات المتعلم من جهة وقدراته من جهة أخرى ٠
د - أن يراعى الفروق الفردية لدى طلابه ٠

٧ - المنافسة العلمية بين المتعليمن :

ويشترط ابن الاكفانى أن يهتم المتعلم بمذاكرة العلم الذى يتعلمه مع اقرانه ونظرائه ولكن بشرط أن يكون هدفه من هذه المذاكرة الاستعانه على الفهم ٠ والتعاون العلمي من أجل الاستفادة والافادة المتبادلة ولا يكون الهدف من المذاكرة مع الاخرين هو المغالبة والمكابرة والتنافس غير الشريف ٠

٨ - نشر المتعلم للعلم الذى تعلمه :

ومن شروط التعلم أن من حصل علما ما ، صار ذلك العلم أمانه فى عنقه لا ينبغى عليه تضييعها بالاهمال ، أو بكتمان ذلك العلم عن مستحقيه ٠ ولكن ابن الاكفانى فى هذا الشرط يضيف ضورة حجب العلم عن غير مستحقيه ٠ وهو لم يحدد لنا من هم الذين يجب حجب العلم عنهم ، ولكنه يستشهد بقول مأثور : " لا تعلقوا الدر فى أعناق الخنازير " ويفسره بأنه يعنى الا تؤتوا العلوم غير أهلها ٠

ولكننا فى مواضع أخرى فى المخطوط نستطيع أن نتبين ما يقصده بمن لا يستحقون العلم ، وهم أولئك الذين يسيئون استخدامه فقد ضرب مثلا فى موضع آخر بعلماء بنى اسرائيل الذين امتهنوا السحر والكيمياء والتنجيم والفلك ، وقد كانت هذه العلوم فى بداية وضعها شريفة الغاية ، حتى أساءوا استخدامها فبدت كما لو كانت غير شريفة .

ومن الضرورى فى رأى ابن الاكفانى أن يثبت العالم ما تحصل عليه من علم فى كتب تبقى من بعده تراثا علميا للاجيال التالية وأن تثبت فى تلك الكتب آراءه ، وملاحظاته على من سبقه من علماء حتى يتواصل العطاء العلمى من جيل الى جيل ولكى لا يقتصر النشر على عصر دون عصر .

٩ ــ التواضع :

من شروط التعلم عند ابن الاكفانى التواضع بحيث لا يعتقد المتعلم لعلم انه حصل منه على مقدار لا يمكن الزيادة عليه فذلك فى نظر ابن الاكفانى ــ طيش يوجب الحرمان ، وهو يستعيذ بالله من الحرمان ، ويستشهد بقول الله تعالى : وقل رب زدنى علما " ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا يورك فى صبيحة لا أزداد فيها علما " .

١٠ ــ معرفة حدود كل علم :

يقول ابن الاكفانى أن من واجب المتعلم أن يعلم أن لكل علم حدا لا يتعداه ، فلا يتجاوز ذلك الحد كما يقصد اقامة البرهان على علم النحو ولا يقصر بنفسه أيضا عن حدة فلا يقنع بالجدال ففى علم الهيئة .

وظاهرة معنى هذا النص أنه يشير الى أهمية معرفة مجال البحث الذى يتناوله كل علم ، فالقضايا النحوية لا تستند الى البرهان العقلى اذا رجعت الى قواعدها الاولى ، بل تستند الى السماع عن البدو .

وعلم الهيئة " الفلك " لا يجدى فيه الجدال العقلى ، بقدر ما تجدى فيه الملاحظة المبنية على المعرفة الحسية . فاختلاط مناهج البحث

أو الجهل بمجال اهتمام علم ، يؤدى الى الخطأ فى الفهم وبالتالى الى الخطأ فى النتائج ٠

١١ ـ التفرقة بين العلوم :

والواقع أن هذا الشرط ـ عدم ادخال علم فى علم آخر ـ امتداد طبيعي للشرط السابق ، ولا يضيف ـ فى رأينا ـ شرطا جديدا من شروط التعليم ، أو التعلم ٠

١٢ ـ تقدير الاستاذ ورعاية مكانته واحترام الزملاء :

يرى ابن الاكفانى أن من شروط التعليم أن يدرك المتعلم حق استاذه ، ويعامله على أنه أب ، ويستشهد على ذلك بقول الاسكندر حين سئل عن تعظيم معلمه أكثر من والده فقال : ان والده أخرجه الى دار الفناء (أى أتى به الى الدنيا) ومعلمه دله على دار البقاء (أى أن ما استفاده منه من علم ادرك من خلاله ضرورة أن يعمل للاخرة) ٠

وقد قال شاعر عربى قديم فى هذا المعنى أيضا :

أقدم استاذى على فضل والدى ... وان نالنى من والدى العز والشرف
فهذا مربى الروح والروح خالد ... وذاك مربى الجسم والجسم من صدف

ويعتبر ابن الاكفانى أن زملاء المتعلم فى التعلم هم أخوة له ينبغى له أن يعرف لهم اخوتهم وأن يراعى حقوق تلك الاخوة ، كما ينبغى للاستاذ أن يعتبر تلميذه ابنا له حقوقه أيضا كما ان لابنه الحقيقى حقوقا عليه ٠

هذه هى شروط التعلم والتعليم الاثنا عشر التى ذكرها ابن الاكفانى ويمكن أن نستنتج منها الحقائق التالية :

١ ـ أهمية تحديد الهدف فى المجال التربوى ٠
٢ ـ مراعاة حاجات المتعلمين وقدراتهم والفروق الفردية بينهم ٠
٣ ـ اختيار المحتوى الجيد فى التعليم ٠

٤ ـ اذكاء روح التعاون بين المتعلمين ٠
٥ ـ مراعاة العلاقات الانسانية فى عملية التربية ٠

ومنها يتضح ان ابن الاكفانى كان على درجة عالية من الوعى بحقائق العملية التربوية ، وجوانبها المختلفة ، كما أنه سبق غيره من مفكرى التربية الغربيين الذين جاءوا بمثل هذه الافكار فى عصور لاحقة ٠

مصادر البحث ومراجعه

أولا : المصادر :

١ ـ القرآن الكريم ٠
٢ ـ ابن الاكفانى ، ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٦ ، مكتبات ٠
٣ ـ ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت : دار مكتبةالحياة ، د٠ت ٠
٤ ـ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٩ ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، د٠ت ٠
٥ ـ ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنه فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ٣ ، (بيروت : دار الجيل ، د٠ت ـ) ٠
٦ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت : دار صادر ١٩٦٩ (٨ مجلدات) ٠
٧ ـ ابن النديم ، الفهرست ، بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٨ ٠
٨ ـ حاجى خليفه ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، (بغداد : مكتبة المثنى ، د٠ت ٠) ٠
٩ ـ شمس الدين الذهبى ، تاريخ دخول الاسلام ، جـ ١ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤) ٠

١٠- الشوكـــانى ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابـــع ، ج ٢ ، (بيروت : دار المعرفة ، د٠ت ٠) ٠
١١- الغـــزالى ، احياء علوم الدين ، ج ١ ، بيروت : دار المعرفـة ، د٠ت ٠
١٢- المقريــزى ، الخطط ، بيروت : دار صادر ، د٠ت ٠
١٣- ياقوت الحموى ، بيروت : دار احياء التراث العربـــى ، ١٩٧٩ ، الجزء الثالث ٠

ثانيا : المراجع :

١ - أحمد تيمـور ، فهرس الخزانه التيمورية ، ج ٣ ، القاهــرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٤٨م٠
٢ - أحمد شــلبى ، موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلاميـــة ، الجزء الخامس ، ط ٧ (القاهرة : مكتبـــة النهضة المصرية ، ١٩٨٦) ٠
٣ - خيرالدين الرزكلى ، الاعلام ، ج ٥ ، ط٦ ، بيروت : دار العـــلم للملايين ، ١٩٨٤م٠
٤ - شوقى ضيـــف ، تاريخ الادب العربى (٦) عصر الدول والامـــارات مصر والشام ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٤ ٠
٥ - عز الدين اسماعيل ، المصادر الادبية واللغوية فى التراث العربـــى ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ ٠
٦ - قاسم عبده قاسم ، أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ٠
٧ - محمد زغلول سلام ، الادب فى العصر المملوكى ، القاهـــرة : دار المعارف ، ١٩٧١ ٠
٨ - محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، م٦ ، القاهرة : مكتبـــة الاداب بالجمايز ، ١٩٦٢ ٠
٩ - محمود الطناحى ، الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفـــات وتعريفات العلوم ، القاهرة : مكتبة الخانجـــى ، ١٩٨٥م٠